أسلوب الالتفات
في القرآن الكريم

تاليف
هكحلة / أمينة سليم
محرر البلاغة والنقد
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
البنات بالإسكندرية
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا نهتدي لولا أن هدانا الله.

وبد،

فقد وفقتى الله إلى موضوع من الموضوعات المهمة في البحث

الأبياتى وهو أسلوب الالتقاط في القرآن الكريم.

فعله تولك وتل هنيب، وهو حسبى ونعم النصير.
أسلوب الالتفات في القرآن الكريم

الالتفات أحد أشكال خروج الكلام على خلف مقتصد الظاهر، وقد عده بعض العلماء أمثال ابن جني ت ٢٩٧ هـ، ورضى الدين بن الأثير ت ٣٧٧ هـ، والطوف البغدادي ت ٢١٦ هـ، والأمير الطويل ت ٧٤٩ هـ ضمن شجاعة العربية.

وقد عرده العلماء بتعريفات مختلفة، اختلفت منها ما يناسب المقام في البحث، وهو تعريف الزركشي في اليرمان (١) فقال:

٠ هو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر بطرقه واستمراره للسمع.

وتجليدا لنشاطه وصيانته لخاطره من الملل والضجر بدوام الأسلوب الواحد على سمعه كما قال:

لا يصح النفس إن كانت مصربةٍ، إلا التنقل من حال إلى حال.

وذكر حازم القرطاجني في منهج البلقاء (٢) فقال:

٠ هم يسأنون الاستمرار على ضمير متكلم أو ضمير مخاطب، فينتقلون من الخطاب إلى الغيبة، وكذلك أيضاً يتلاعب المتكلم بضميره، فتارة يجعله ياء على جهة الإخبار عن نفسه، وتارة يجعله كافا أو تاء فيجعل نفسه مخاطبا، وتارة يجعله هاء، فيقيم نفسه مقام الغائب، فذلك كان الكلام المتوالي فيه ضمير متكلم أو مخاطب لا يستطع، وإنما يحسن الانتقال من بعضها إلى بعض (٣).
وقد عده الزركشي نقلًا معنويًا لا فظيًا، وشرطه أن يكون الضمير في المتنقل إلينا عادة في نفس الأمر إلى الملفت عنه، ليخرج نحو: أكرم زيداً، وأحسن إلينا، فضميرً: أنت الذي هو أكرم غير الضمير في إليناً.١)

وقد اتفق جمهور العلماء على أن مقامات الانتقال هي: التكلم والخطاب والغيبة. إذا يكون الانتقال من مقام إلى آخر بعد التعبير بالأول، بخلاف ما جاء عند السكاكي.

ولذلك نرى أن كلام الجمهور أخص من كلام السكاكي في هذا الخصوص، حيث إن كل النفات عندهم النفت عنده من غير عكس.

ويذكر أن مذهب السكاكي أعم من مذهب الجمهور لأن الانتقال عنده يتحقق بالتعبير عن المعنى بطرق من الطرق الثلاث على خلاف ما يقتضيه الظاهر، ويترقب، سواء سبب التعبير عن ذات المعنى بطرق أخرى أو لم يسبقه.

وإذا بالذكر أن السكاكي سار على نهج الزمخشري٢) في هذا المذهب، وخلافه في ذلك السعد التفتازاني٣) والجمهور.

والرأى الراجع عندي في الانتقال هو ما ذهب إليه السكاكي متابعاً فيه الزمخشري لاتساعه وشموله.

وذكر الإمام السيوطي٣) في معتبره أن كل موضوع من مواضيع الانتقال.

يختص بنكت وطائف باختلاف محله.

(1) الريحان ج2 ص 214 وانظر المفتخر للسيوطي ج1 ص 377-378
(2) الكشاف ج4 ص 442
(3) الشرح الفقيه ج1 ص 153 والملحق ج1 ص 130
(4) معتبر الأقران ج1 ص 378
أقسام الانتقادات ستة

الأول – الانتقادات من التكلم إلى الخطب:

ويوجه حث السامع ويعتبر الاستماع حيث أقبل التكلم عليه، وأنه أعطاه
فضل عناء وخصوص بالواجهة كثب وثاني: نعماني لا أعلم الذي
فطريني وإليه ترجعون (1) الأصل (والله ارجع) فالنتف من التكلم إلى
الخطاب، ونفادله أنه أخرج الكلام في معرض مناصحته لنفسه، وهو يريد نصح
قريبه، تلقفا وإعلاما أنه يريدهم ما يريده لنفسه، ثم التفت إليهم كونه في مقام
تخويفهم ودعوتهم إلى الله (2).

وأيضا فإن قريبه ما أدرك عليه عبادته لله، أخرج الكلام معهم بحسب
حالهم، فاحتم عليهم بأنه يتبع منه أنه لا يعبد فأطره وبصبه، ثم حذرهم بقوله:
(3) وإليه ترجعون.

لذا جعلوه من الانتقادات، وفيه نظر لأنه إذا يكون منه إذا كان القصد
الإخبار عن نفسه في كتبت الجملتين، وما هنا ليس كذلك (4). لجواز أن يكون أول
بقوله: (والله ترجعون) المخاطبين ولم يرد نفسه، ورؤيه ضمير الجمع، ولو
أرا، نفسه لقال: (ارجع أو ترجع على التعليم).

وأيضا فشرط الانتقادات أن يكون في جملتين، و فطريني و إليه ترجعون

كلام واحد (5).

---
(1) يس 22
(2) الإبراهيم ج 2 ص 315
(3) البركاني ج 2 ص 315
(4) البركاني ج 2 ص 315
(5) البركاني ج 2 ص 315
---
183
وأجيب بأنه لو كان المراد بقوله: "ترجعون..." ظاهرًا لما صح الاستفهام الإنجابي، لأن رجوع العبد إلى مولاه ليس بمعنى أن يعوده غير ذلك الراجع، فالمعنى: كيف أعبد من إليه رجوعي، وإنما ترك... وإليه ترجعون... لأنه داخل فيهم، ومع ذلك أفاد فائدة حسنة، وهي أن ينهيم أنهم مثله في وجه عبادة من إليه الرجوع، فعلي هذا، الراويل للحال في قوله: "وإليه ترجعون" رطب الأول الراوي للعطي ليكون كما واحدًا. (1)

وجعل الزركشي (1) منه قوله تعالى: "وأما الجدار فكان لفلامين يقيمون في المدينة وكان تحته كنز لما وكان أبوهما صالحاً، فاراد ربك أن يبلغها أشدها ويعتبرها كنزهما رحمة من ريك، وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تتعلق عليه صيراً" (2).

ففي قوله: "رحمة من ريك..."، عدل من قوله: "رحمة منا" إلى قوله: "رحمة منك، لما فيه من الشكر بربك تقتضى رحتمه. وان رحيم بعبدك، كنت له كلوا من رؤى ريكم" (3)، وفي قوله: "فأراد ربك" وضع الاسم المظهر مكان الضمير لتكون "فاردنا" وهى من التكلم إلى الخطاب.

كما جعل منه قوله تعالى: "إذا فتحنا لك ففتحا مبينا ليففر لك الله" (4) قال: ولم يقل: "ليففر لك" تعليقاً لهذه الفقرة التامة باسمه المتضمن لسائر أسماءه الحسن، ولم هذا علق به النصر فقال: "ونصرك الله نصرًا... عززاً" (1).

---

(1) البهائم ج 2 ص 216 - 217 .
(2) البهائم ج 3 ص 216 .
(3) الكفف 87 . (4) سبأ 16 .
(5) الفتح 1 . (6) البهائم ج 4 ص 216 .

---

-184-
والمثالان معا لا ينطبقان على الألفاظ من التكلم إلى الخطب والركزس
ساك في عدهما كذلك، فإن الانتقال في الثاني من التكلم بالمصير نازق إلى الأصل المظهر "رب" وهو من نبيل الفنية، وربما دخلت الشبيه عليه من "الكاف" وهي ضمير الخطب الذي أضيف إليه لفظ "رب" ولا دخل للمضاف إليه في أثبات الألفاظ أو نقيه (1).

وأما المثال الأول نظاهره أن الخبر كله من كلام الرجل الصالح يخاطب به موسى، فكافة الخطب فيه ليس على الأصل، ولفظ "رب" المضاف إلى الكاف في الموضعين: "أراد ربك" رحمة من ربك من خبر التكلم عن الله، وليس الإرادة إرادة العبد الصالح، ولا الرحمة رحمته، بدلاً: "بما فعلته من أمرى" حتى يكون الأصل رحمة منا على التكلم، ثم انتقل منه إلى "ريك" فلا التفاته من التكلم على ذلك أصلا، لا إلى الخطب ولا إلى غيره، بل كل ما فيه وضع لفظ ربك، الثاني موضع ضمير الفائب لسبق مرجوع، وهو لفظ "رب" المذكورة أولاً.

وعند هذا فمقام المظهر والمضمر الذي خلفه المظهر هو الفنية ولا التفاته من غائب إلى غائب (2).

وإذا كان صاحب البرهان قد جرى على ما يرى بعض المفسرين من جواز أن يكون "فاراد ربك" و "رحمة من ربك" من كلام الحق معتبرا عن ذاته بلغظ "رب" المظهر محل ضمير المتكلم فيما لو قيل: "فاردت" و "رحمة مني" فإن ذلك أيضا هو التفاته من التكلم إلى الفنية فلا انطلاق للصورة عليه كمثال الفتح.

(1) تعبير الحق عن ذاته من 96 د / عز الدين على السيد.
(2) تعبير الحق عن ذاته من 96.
وعل هذا هو ما حمل السيوطي على عدم أخذ المثالين لتلك الصورة في كتابه "الإثناء ومعترك الأقران" (1) مع حرره الشريف، على تتبع الزركشي ونقل حروبه أحياناً، ونرى فيما لحقيقة الصورة، يحمله على وضع مثال سورة الفتح تحت صورة الألفاظ من التكلم إلى الغالبة في كتابه جميعاً، وذلك ما فعله علماء البلاغة من قبل ومن بعد (2).

ولا يظهر في القرآن كله أن الحق عبر من ذاته بضمير الكلم ثم بضمير الخطاب، فخاطب نفسه لتصدق هذه الصورة على موضوعنا، وإنما يأتي ضمير المخاطب معبعاً به عن تعالى من عبادة على سبيل الدعاء أو غيره محاكياً عنهم، أو على سبيل تلقي الحق إياهم ما ينبغي أن ينتبه به، فمثل قوله تعالى يعلم رسله كيف يستمع برن به [قل أوحىرب الفلق] و [قل أوحى رب الناس] وما أشبهه لا يعد لفظ "رب" فيه الفتاوى عن ضمير الكلم اعتباراً لأن التكلم به هو الله، ويجهز عند السكاكى لانه لا يشترط اختلاف الكلام، وحكاية الحق دعاء الداعين أو تلقينهم الدعاء كذلك (3).

الثاني - الالفاظ من التكلم إلى الغالبة:

في هذا المقام طالعنا الزركشي بقوله (4): "روجاه أن يفهم السامع أن هذا نمط التكلم وقصده من السامع حضر أو غائب، وأنه في كلامه ليس ممن يلحن ويتجه، فيكون في المضمر ونحوه دا لونين وأراد بذلك النقل إلى الغالبة الإبقاء على المخاطب، من قرعه في الوجه بهام الهجر، فالغالبة أروح له، وأبقى على

(1) الإثناء ج. 2 ص 88 والمعترك ج. 1 ص 378.
(2) تعبير الحق عن ذاته من 81.
(3) تعبير الحق عن ذاته من 97 د من الدين على السيد.
(4) البرهان ج. 2 ص 317.
ما رجعه أن ينفر كفره: (1) إننا أعطيناك الكرثفصل لريك) (1) حيث لم يقل فصل لنا تحيضنا على فعل الصلاة لحق الربوبية، رتبه: (2) فيها وفرق كل أمر حكيم، أرأنا عننا إذا كنا مرسلين، رحمة من ريك إنه هو السميع العليم) (3) ولم يقل لنا: (3) يعني: (4) يا أيها الناس إلى رسول الله إليك جميعا) (5) إلى قوله: (5) فآمنا بالله ورسوله ونمل إلك، في النص من التكلم إلى الف جهة.

وقد ذكر صاحب البرهان (6) أن هذه الآية الكريمة بها التفات له فائدتان:

(1) إحداهما: دفع التهمة عن نفسه بالعصبية لها.

(2) والثانية: تتبيههم على استحقاقه الاتباع بما أتصف به من الصفات المذكورة من النبيرة والامية، التي هي أكبر دليل على صدقه، وأنه لا يستحق الاتباع لأنيا بل لهذه الخصائص.

(3) الثالثة: الانتفاذات من الخطاب إلى التكلم:

ينذر السبيط) (5) في ملتحز القرآن أن الانتفاذات من الخطاب إلى التكلم لم يقع في القرآن الكريم، بينما ذكر كل من الفخري الرازي (7) والزركشي (8) مثالاً واحدا من القرآن الكريم انتفا عليه مما في قوله تعالى: (4) ألا أبى الله أسرع مكراً إن رسلنا يكتبون ما تمكنون) (8) على أنه سبحانه نزل نفسه منزلة المخطوب.

---

(1) البخاري 4 - 206
(2) البخاري 4 - 217
(3) الأعراف 158
(4) البقرة 103
(5) البقرة 103
(6) معرفة القرآن 1 ص 371
(7) تفسير نهاية الإيام 137
(8) البقرة 103
(9) البقرة 103
(10) البقرة 103
وهو في الحقيقة التفت عن الغيبة بالاسم المظهر لله إلى التكلم نا محل رسوله وهذا ما يتوافق مع السيطرة في نظره وسهر الزركشفي فيها.

كما ذكر كل من السكاني (1) ت ١٢٦ هـ، رابين اللثيم (2) ت ١٨٧ هـ، محمد بن علي محمد الجرجاني (3) ت ١٢٩ هـ، والخطيب الطوسي (4) ت ١٧٩ هـ، قرأ علقة بن عبد شهابا على هذا المقام في قوله:

طحابك قلب في الحسان طويل
بعد الشباب عصر حان مشيب
تكلفتني ليلة وقد شط ربيها
وما عادت عώا بيننا وخطوب

هذان البيتان يمثلان ما جاء عند هؤلاء العلماء في الانتفاض من الخطاب إلى التكلم، فإنما قد انتقل من الخطاب في قوله: "طحابك" إلى التكلم في قوله: "تكلفتني".

والهدف البالغ من الانتفاض هو أمر نفسي له مكانه، لأن الانتفاض عن أسلوب مترقب إلى آخر غير مترقب، كالنقاط القاطعة بينها إلى غيره. يفاجئ الناظر بما تهبط له نفسه، فلتتلقى النفس على الأمر لسر التعبير النافج، غير المنتظر، فيزول السام والريثة وترور النفس بالتزام الوثيرة الواحدة (6).

النواب: الانتفاض من الخطاب إلى الغيبة:

وفي هذا المقام نجد الزركشفي يمثل له بهذه الشواهد القرآنية الرائعة كما جاء في قوله تعالى: "حتى إذا كنت في الفلك وجريين بهم" (1)

---

(1) مفتاح العلم من ٩٦.
(2) المثل السائر ج. ١٣٨.
(3) الإشارات والتتبية من ١٦ تحقيقد د. عبد القادر حسن.
(4) الإيضاح من ١٠٤ تحقيقد د. عبد القادر حسن.
(5) تميز الحق من ذاته ص ١٨٨ د. عز الدين على السيد.
(6) ينيس ٢٢.

١٨٨
التفت من كتبهم إلى جرير يفهم وفائدة العدول عن خطابهم إلى حكایة حالهم لغيرهم، لتعجب من قلهم وكرههم، إذا لو استمر على خطابهم لقات الفائدة.

وقيل: لأن الخطاب كان أولًا مع الناس مؤمنهم وكافرهم بدليل قوله: ﴿لا هو الذي يسركم في البر والبحر﴾ فلو قال: جرير يكم للزم الندم للجميع، فالتفت على الأول للإشارة إلى الاختصاص بهؤلاء الذين شأوا منكره عنهم في آخر الآية، فعمل على الخطاب العام إلى الندم الخاص ببعضهم، فهم الموصوفون بما أخبر به عنهم (1).

وقيل: لأنهم وقت الركوب حصروا لأنهم خافوا الهلاك وتقب الرياح، فناداهم نداء الحاضرين، ثم إن الرياح لما جرت بما تشتهى النفس، وأمنت الهلاك لبيق حضرهم كما كان على ما هي عادة الإنسان (2)، إنه إذا أمن غاب فلما غابوا عند جريبه بريغ طيبة، فكرهم الله بصيغة الغيبة، فقال: ﴿وجرير بهم﴾ (3).

ويضيف السيوطي معقباً على هذه الآية الكريمة فيقول: «رأيت عن بعض السلف في توجيهه عكس ذلك، وهو أن الخطاب أوله خاص وأخره عام، فأخبر ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنه قال في قوله تعالى: ﴿حتى إذا كنت في الفلك وجررين بهم﴾ قال: نذكر الحديث عنهم، ثم حديث عن غيرهم، بل يقال: ﴿وجررين بكم﴾ لأنه قدس أن يجمعهم وغيرهم وجررين بهؤلاء وغيرهم من الخلق، هذه عبارته، فله ﴿و السلف ما كان أوقعهم على المعاني.

---

(1) البرهان ج2 ص 318
(2) البرهان ج2 ص 318
(3) البرهان ج2 ص 318

-189-
الطيفة التي يداب المتاخرون فيها زمانًا طويلاً، ويفرون فيها أعمارهم، ثم غايتهم
أن يحملوا حول الحمى (١).

ومن مقام الخطب إلى الغيبة قوله تعالى: {دخلوا الجنة أنتم
وأزواجهكم تحبون } (٢) ثم قال { يطاف عليهم } (٣) فانتقل الخطاب إلى
gيبة، ولربما قبله قال { يطاف عليهم لأنه مخاطب لا مخبر } ثم التفت
قال { وأنتم فيها خالدون } (٤) ذكر الانتفاس (٥).

وقيل { أتىهم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم
المضعون } (٦) وتقول { وكى إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك
هم الراشدون } (٧) وتقول { إن هذه أمتك أمة واحدة وآنا ريك
فاعدون } وupgrade أمرهم بينهم } (٨) والأصل: { تطمعتم عطفًا على ما
قبله }، لكن عدل من الخطاب إلى الغيبة، فقيل: إنه سبحة خيلى عليهم ما أقسمه
من أمر دينهم إلى قوم آخرين، ويختم عليه قائلا: آلا ترين إلى عظيم ما ارتكب
هولاء في دين الله } (٩).

الخامس: الانتفاس من الغيبة إلى التكلم:

كقوله تعالى: { سبحان الذي أسرى بعيدا ليلًا من المسجد الحرام
إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو
السمع البصير } (١٠).

<table>
<thead>
<tr>
<th>الأجزاء</th>
<th>الصفحة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>المتوك</td>
<td>٢٨٠</td>
</tr>
<tr>
<td>الزخرف (٢)</td>
<td>٧٠</td>
</tr>
<tr>
<td>الزخرف (٣)</td>
<td>٧١</td>
</tr>
<tr>
<td>الزخرف (٤)</td>
<td>٧٢</td>
</tr>
<tr>
<td>الربران</td>
<td>٢١٨</td>
</tr>
<tr>
<td>الربران (٦)</td>
<td>٣٩</td>
</tr>
<tr>
<td>الأثناء (٨)</td>
<td>٧٣</td>
</tr>
<tr>
<td>المجرات (٧)</td>
<td>٩٣</td>
</tr>
<tr>
<td>البربران</td>
<td>٣٣</td>
</tr>
<tr>
<td>البربران (٩)</td>
<td>٣٣</td>
</tr>
<tr>
<td>الأسراء (١٠)</td>
<td>١٩٠</td>
</tr>
</tbody>
</table>
وقوله تعالى: «أوحي في كل سماء أمرها وزينا السماوات الدنيا» (1).

وقوله تعالى: «وقالوا اتخذ الرحمن ولدا فقد جنتم شيئا إذا» (2).

وقيله تعالى: «وأي الله الذي أرسل الريح فتثير سحابا فسقتاه» (3).

ذكر البرهمان (4)، فائدة الانتفاض في هذه الآية السابقة ينبغي: إنه ما كان سوق السحاب إلى البلد إحياء الأرض بعد موتها بالمنطر، دالا على القدرة الباهرة.

والآية المظلمة التي لا يقدر عليها غيره، عدل عن لفت الغيبة إلى الكلام، لأنه أدخل في الاختصاص، وادل عليه واقع، وفيه معنى آخر، وهو أن الآيات المذكورة في هذه الآية منها ما أخبر به سبحانه بسبه، وهو سوق السحاب فإنه يسوق الريح، فتسوق الملائكة بأمره، وإحياء الأرض به بواسطة إنزاله، وسائر الأسباب التي يتضفيها حكمه وعبده، وعندما سبحانه في كل هذه الأعمال أن يخبر بها بمن تعظيم الدالة على أن له جندا وخلق قد سخروهم في ذلك.

فقاله تعالى: «أنزل من السماء ماءً فأخلاقنا به نمرات مختلفة ألوانها» (5).

فإن الانتفاض فيها رفع من الغيبة في قوله: "أنزل" والضمير في الفاعل المستتر جوازا وتقديره هو، إلى التكلم في قوله: "فأخلاقنا" وهو ضمير التكلم.

(1) قلت له 12. (2) مريم 88. (3) فاطر 92. (4) البرهان 119 من 319. (5) فاطر 27. (6) الثمامة 62.
رمتنا فيه تعالى : (أَمَّنِ خَلَقَ السَّمَاءَ والأرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّن
السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَثَتْ بِهِ حَدَائِقٌ شَكِيرَةٌ ؛ (١)) .
فَنَجِدُ الْمُرْتَبَةَ فِي هَذِهِ الآيةِ رَيْقًا مِّنَ الْفِيْضِ فِي الَّذِي نَفَسَهُم مُّنْعَمًا
وَتَمَّا لَهُمْ فِي قَوْلِهِ : (إِنَّ خَلَقَ السَّمَاءَ والأرْضَ) وَالْكَتَابُ فِي قَوْلِهِ تَمَّا لَهُمْ : (فَأَنْبَثَتْ)
وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنِاً بِهِ أَزْوَاجَ أَنْبَاتِ شَتَى١٠ .
لَقد جَعَلَ الْزَّرْكُشِ (٢) الْمُرْتَبَةَ فِي هَا مَحِيلٌ لِّلْمَشْكُوكِ تَقَالٌ : وَجِلِّلَ الْقُرْآنِ
مِنْهُ فِي سُورَةِ طَه١٨ : (فَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنِاً بِهِ أَزْوَاجَ أَنْبَاتِ شَتَى٦)
رَزَمُ الْحَرْجِانِ ذِي اِلْحَزْنِ فِي هَا هَذِهِ الآيَاتِ : وَجِلِّلَ تَقلِيلَهُ : (فَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) أَخْرَ كَلَمٌ مُّوسَى٢٠ : ثُمَّ أَبْدَأَ اللَّهُ تَمَّا لَهُمْ فَأَخْبَرَ عَن
نَّفْسِهِ بِلِيَاصِفَاهَا ؟؟؟؟
وَالنَّصُّ فِي الْسِّياقِ جَعَلَنَا نَتَعَلَّمُ إِلَى الآيَاتِ السَّابِقَةِ عَلَى هَذِهِ الآيةِ فَنَجِدُ فِي
تَقَلِيلِهِ تَمَّا لَهُمْ : (فَإِنَّ رَبِّي بِهِ مَوسَى١٠ قَالَ : رَبِّي الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ
خَلِقَهُ ثُمَّ هَدَى١٨ قَالَ : فَمَا بَالَ الْقُرْآنِ الأَوَّلِي قَالَ : عَلَمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابِهِ لَا يَضُلْ رَبِّي وَلَا يَنْسَى١٨٩١٠ الَّذِي جَعَلَ لِكُمُ الأرْضَ
مِهِدًا وَسَلَكَ لَكُمُ فِيهَا سِبْلًا١٨ ٩١٠ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَنِاً بِهِ أَزْوَاجَ
نَبَاتِ شَتَى٦ كَلاَمًا وَارْعَوْا أَنْتَعَاхُمْ عِنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكِ الآيَاتِ الأَوَّلِي
النَّهَي٥٠ .

(١) البقرة ٦٠. (٢) طه ٥٣.
(٣) الExpired ٣٥٠.
(٤) طه ٤٩ - ٤٨ .

١٩٢
أما عبارة صاحب الكشف (1) فهي : فأخبرنا انتقل فيه من لفظ النبية في قوله : "أنزل " إلى لفظ المتكلم المطاع لما ذكر من الافتيان والإذان بأنه مطاع، تتقاد الأشياء المختلفة لأمره، وتذعن الأجناس المتفاوتة لمشيتها، لا يمنع شيء على إرادته، وفيه تخصيص أيضاً بابنا نحن نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة أحد.

ويعقب ابن المنير (2) على كلام الزمخشري في عد هذه الآية من الاتفقات وحجته في ذلك قوله : " إنما يكون الاتفقات في كلام المتكلم الواحد يصرف كلامه على وجه شتى، وما نحن فيه ليس من ذلك، فإن الله تعالى حكى عن موسى عليه السلام قوله لفرعون : " علموا عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى " كلمه : " الذي جعل لكم الأرض مهدًا " إلى قوله : " فأخبرنا به أزوجا من نبات شتى " فإما أن يجعل من قول موسى فيكون من باب قول خواص الملك أمرنا وصمنا، وإنما يريدون الملك وليس بالتفقات.

وإما أن يكون كلام موسى قد انتهى عند قوله : " ولا ينسى " ثم ابتدأ الله تعالى وصف ذاته بصفات انعامه على خلقه فليس الاتفاوتا أيضاً، وإنما هو انتقال من حكايته إلى انشاه خطاب وعلى هذا الشكل ينبغي للقارئ أن يقف وقفة عند قوله : " ولا ينسى " ليستقر بانتهاء الحكايته.

ويحتمل رجها آخر : وهو أن موسى وصف الله تعالى بهذه الصفات على لفظ البينة، فقال : " الذي جعل لكم الأرض مهدًا وسلك لكم فيها سبيلًا، وأنزل لكم من السماء ماء فأخبر به أزوجا من نبات شتى " فلما

---

(1) الكشف جـ ٢ ص ١٢٩ -١٣٠ تهران.
(2) الكشف جـ ٢ ص ٩٣٩ -٩٤٠
حكاية الله عز وجل إلى زكريا، وأن الحق هو الحق في كلام موسى، فراجع الضمير، وهذا الرجل حسنه، وهو أقرب الوجه إلى اللفظ، لكن الزمخشري لم يعنه، والله أعلم.

ويهذا الاحتمال الأخير الذي ذكره ابن المنير، يكون اللفظ قد حصل في الآية الكريمة، مما يتفق ونظرته كل من الزمخشري والأرختاغاني وأزال الشك الذي وقع فيه الزكشي من عد هذه الآية من اللفظ.

وشبه قوله تعالى: "فغضب الناس بضعة سماوات في يومين وأوحي في كل سماء أمرها وزينة السماء الدنيا بصابيح" (1) عدل عن الغيبة في: فغضب الناس وأوحي في قوله: "وزينة بصابيح" أن يقال للاهتمام بذلك، والأخبار عن نفسه، باتج كل الكواكب زينة السماء الدنيا، وحفظاً، وكتبنا لمن أدرك ذلك.

ويوضح الزكشي (2) مقاصد اللفظ في هذه الآية الكريمة، أنه تصدبه الإخبار مطلقاً، من غير قصدنة خلقه، وهو تزين السماء الدنيا بصابيح، وجعلها حفظاً، فإنه لم يقصد بيان مدة ذلك، بخلاف ما سابق، فإن نوع الأول يتضمن إيجاداً لهذه المخلوقات العظيمة في هذه المدالة، وذلك من أعظم أثار قدرته، وأما تزين السماء الدنيا بصابيح فليس المصعد به الإخبار عن مدة خلق النجوم، فالغثة من الغيبة إلى التكلم، فقال: "زينة بصابيح" (3).

السادس: اللفظ من الغيبة إلى الخطاب:

واللفظ من الغيبة إلى الخطاب من الذي أكلئها في القرآن الكريم كما جاء في:

---
(1) فصلت 17، (2) البرحان 3، ص 271، (3) البرحان 3، ص 272.
قوله تعالى: "وفعلوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جبتهم شيئاً إذاً" (1) فعدل عن جواباً بقوله: "جبتهم" وعلى هذا يكون الانتقال في هذه الآية الكريمة من الفية في قوله: "قالوا إلهم" إلى الخطب في قوله: "جبتهم" للدلالة على شدة تنبيههم، لأن الحق تبارك وتعالى أنكر على من قال مثل قولهم فقاله يخاطب به قوماً حاضرين، لأن تويبيخ الحاضر أبلغ في الإهانة له.

وقال تعالى: "وحصيرة أنت تستدرك على صاحب البهتان ووجد هذه الآية الكريمة في المقام السابق وهو الانتقال من الفية إلى التكلم، حيث إن مكانها الصحيح في الانتقال من الفية إلى الخطب.

وجعل الزرتشت الانتقال من الفية إلى الخطب قوله تعالى: "وسعائهم ريهم شرابة طهوراً إن هذا كان لكم جزاء" (2) فانتقل من الفية في قوله: "وسعائهم" إلى الخطب في قوله: "لكم" للتنبيه على عظم منزلة مأله ومكانتهم في الآخرة.

ومنه قوله تعالى: "فأنا الذين استوت وجوههم أكفريتم" (3) ولم يقل كفروا.

ومنه قوله تعالى: "فتكوي بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم" (4) فعدل عن قوله ما كنزوا.

وقوله: "ألم تر إلى ريك كيف مد ظل" (6) ثم قال: "ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً".

(1) مريم 88. (2) الإنسان 21. (3) عمران 106. (4) التوبة 32. (5) الفرقان 46.
أرى أن الزركشي قد جابه الصواب حين وضع هذه الآية الكريمه ضمن
الانتقال من الفجية إلى الخطاب، في حين أن حقائقها في الانتقال من الفجية في
 قوله: {لقد أظلم إلى الكلام في قوله: "جعلنا".}
ومن الانتقال من الفجية إلى الخطاب قوله تعالى: {إذ أراد النبي أن
يستنكحها خالصة له من دون المؤمنين} (1) فقد عدل عن الفجية إلى
الخطاب ولم يقل خالصة له.
وقبل تعالي حكاية من الخيل: {إبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله
وأتقوا ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون} إنا تعبدون من دون الله
أو أثنا وتخلقون إفكا} (2) إلى قوله: {فما كان جواب قومه} (3) فقد
انتقل من الفجية في قوله: {إذ إبراهيم إذ قال لقومه} إلى الخطاب في قوله:
{تعبدون وتخلقون إفكا}.
وقبل تعالي: {مالك يوم الدين، إياك نعبد} (4) فقد التفت عن
الفجية وهو {مالك} إلى الخطاب وهو {إياك نعبد،} واق تقول: إن كان التقدير:
قولوا الحمد لله ففي الافتتان أعني في الكلام الأمر به.
أيدهم: في لفظ الجليلة، فإن الله تعالى حاضر، فأصله الحمد لک.
والثاني: {إياك} مجيئه على خلاف الأسلوب السابق وإن لم يقدم.
قولوا: "كان في الحمد لله الافتتان من الكلام إلى الفجية، فإن الله سبحانه وتعالى
حمد نفسه ولا يكون في {إياك نعبد} الافتتان، لأن {قولوا} مقدرة معها قطعا
فإما أن يكون في الآية الافتتان أو لا الافتتان بالكلية} (4).

(1) الأحزاب 50 (2) المنكبوت 16 17 (3) المنكبوت 24 (4) الفاتحة 4 (5) البقرة 224 226

-196-
فوائد الالتفات

يخبرنا الزركشي (1) في برهانه عن فوائد الالتفات فيقول:

"علم أن الالتفات فوائد عامة وخاصة، فمن العامة التفات والانتقال من أسلوب إلى آخر لما في ذلك من تشistency السامع واستجابة صفاته، واتساع مجازي الكلام، وسهولة الرزن والقافية.

ثم يذكر الزركشي ما قاله البانيين في هذا الخصوص فيقول:

"إن الكلام إذا جاء على أسلوب واحد رطال، حسن تغيير الطريقة وناعمهم القاضي شمس الدين بن الجوزي وقال: الظاهر أن مجرد هذا لا يكفي في المناسبة، فإننا رأينا كلاماً أطول في هذا والأسلوب محفوظ، قال تعالى: إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات (2) إلى أن نكر عشرة أصناف، وختم (الذاهبين الله كثيراً والذواخر) ولم يغير الأسلوب، إنما المناسبة أن الإنسان كثر التقلب وقلبه بين إصبعين من أصابع الرحمن، يقلب كيف يشاء، فإنه يكون غائبًا فيحضر بكلمة واحدة، وآخر يكون حاضراً فيجيب، فالمغالى لما قال: الحمد لله رب العالمين (3) تنب السامع وحضر قلب، وتمثال الله حاضراً أمامه فقال: إياك نعبد وإياك نستعين (4).

وأما الفائدة فتشتت بختلاف مجالات وسواحل الكلام فيه على ما يقصده المتكلم، فإن صاحب أن نطق عليها أغراض الالتفات وهي كثيرة فمنها قصد تعظيم شأن المعارج كما في الحمد لله رب العالمين فإن المبود إذا افتتح حمد"
وَمَلَأَ بِقَوْلِهِ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي عَلَى هَمَّتِهِ الْعَالَمِينَ، فَإِذَا أَنْتَلَى إِلَى قَوْلِهِ: "رَبُّ الْعَالَمِينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُخْلِذْ وَلَدًا" (1) فَإِنَّ الْتَّابِعِينَ الْحَمْدُ إِلَيْهِ.  
وَهُوَ خَاتَمُ الصُّفَاتِ الْمَالِكَلِيَٰءِ عَلَى أَنَّهُ مَا لَكُمْ مَا لِلَّهِ ۖ ذَٰلِكَ يُؤْتِيهِ الْجَزَاءُ، وَيَتَّهِمُ الْكَلِمَ عَلَى تَحْصِيْلِهِ بِغَيْرِ الْخَضْرَٰئِ وَالْإِسْتِعْمَانِ فِي الْفِتْنَاتِ (2)، وَمِنْ هَٰذِهِ قَوْلِهِ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُخْلِذْ وَلَدًا" (3) فَإِنَّ الْتَّابِعِينَ فِي الْفِتْنَةِ بِالْخَطَابِ.  
وَعِلَى بِيَانِ تَعْظِيمِ الرَّسُولِ يَقُولُ الزَّمَخْشَرُ (4) ۖ وَكَمَّا فِي قَوْلِهِ تَعْلَى: "وَإِنَّمَا أَنْفَسُهُمْ جَاءَهُ وَفَأَسْتَغْفَرُوهُمُ اللَّهُ وَفَأَسْتَغْفَرُوهُمْ الرَّسُولُ" (5) ۖ وَلَا يَقُولُ "لاَ أَسْتَغْفَرُوهُمْ" عَلَى طَرِيقِ الْإِلْتِفَاتِ (6)، لَعَلَّهُ فِي هَٰذَا الْإِلْتِفَاتِ يَثْبِتُ فَاعْلَيْهِ الْأَسْتَغْفَارَ.  
وَمِنْ هَذِهِ الأَخْرَاجِ التَّبْنِيَةِ عَلَى مَا حُقَّ لِكَالْكَلَّامِ أنْ يَكُونَ وَارِدًا عَلَيْهِ كَقَوْلِهِ تَعْلَى: "لَمْ يُعْبَدَ الَّذِي فَطَرُّنَا وَلَهُ الْإِلْطَارُ" (7) ۖ وَاِنْتَ غَى لِكَالْكَلَّامِ فِي مُخْرِجِ الْمَنْصُوْحَةِ لَكَالْكَلَّامِ الَّذِي يَرِيدُهُ فِي مَنْصُوْحَةِ لَهُ، وَيَضَعُهُ فِي رَوْيَتِهِمْ أَنْ يُنْفِضَهُمْ لَا رَيْدُ لِهِمْ إِلَّا ما يَرِيدُ لَهُمْ، فَتُقْصُى غُرْضُهُ مِنْ ذِكَارِهِ: "وَلَهُ الْإِلْطَارُ، وَكَانَ حَقَّهُ أَنْ يُقُولُ: "مَا كَانَ أَصُلُّ الْكَلَّامِ عَلَيْهِ رَمَقَٰتْهُ لَهُ، وَمَا لَكُمْ لَعَمْدِنَّ الْحَيَّ" (8).
ومنها أن يكون الفرض به التميم لمعنى مقصود المتكلم، فليأتي به محاولة على تحقيق ما قصد إليه المعنى المطلوب له. فإذا تعلاني: "فهي يفرق كل أمر حكيم، أليما عندها إنا كنا مرسلين. رحمته من ربك إن هو السميع العليم" (1) أصل الكلام "إنا مرسلي رحمة منا" ولكنه وضع الظاهر موضوع المضمر، للإيذار بأن الروبية تنتنئ الحمدا للرب الهيؤيين للقدرة عليهم، أو لتخصيص النبي عليه بالذكر، أو الإشارة إلى أن الكتاب إنما هو إليه دون غيره، ثم التفت بإعادة المضمر إلى الرب الموضوع موضوع المضمر، المعنى المقصود من تتميم المعنى.

ومن فوائد الالتفات أيضا، تكراره في موضوع واحد، كما جاء في قوله تعالى: "سبحان الذي أسرى بعده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركتنا حوله لندره من آياتنا إنه هو السميع البصير" (2) نجد أن هذه الآية الكريمة تكرر فيها الالتفات في أربعة مواضع، فانتقل عن الفببة في قوله "سبحان الذي أسرى بعده ليلا" إلى التكلم في قوله: "باركتنا حوله" ثم عن التكلم إلى الفببة في قوله: "ليبره"، إلى ما استناده، ثم عن التكلم إلى الفببة في قوله: "إنه هو السميع البصير". كذلك ما جاء في الفاتحة، وفي غيرها من الشواهد القرآنية العظيمة التي مرت بنا.

ومن خلال الشواهد القرآنية السابقة في بحثنا يتضح أن فائدة الالتفات لا تكمن فقط في النظرية للسامع وإيقاظه للاصغرا، ورفع السامع والمادة عليه فحسب، وإنما مقتضى التعبير هو الذي يستوجب اختلاف الأساليب في الأسلوب

(1) الدخان 4-6
(2) الأسراء 19
الواحد، وهذا الأمر يجدر بأن نقف عند وقفة منتأثرة لترى كيف تعقب فيه ابن الأثير (1) الزمخشري بالنقض في فائدة الالتفات فترى يقول: وليس الأمر كما ذكره الزمخشري (2)، لأن الانتقال في الكلام من أسلوب إلى أسلوب إذ لم يكن إلا تجريه لنشاط الصاعم، وإيقاظا للإحصاء فإنه ذاك دليل على أن السامع يمل من أسلوب واحد، فينقل إلى غيره، ليجد نشاطه للاستماع، وهذا قدر في الكلام لوصف له، لأنه لو كان حسنا لما مل... الخ.
قال: واللى عندى في ذلك أن الانتقال من الخطاب إلى الغيبة أو من الغيبة إلى الخطاب لا يكون إلا لفائدة اقتضته، وذلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب غير أنها لا تحد بحد ولا تضبط بضابط، لكن يشار إلى موضع منها، ليقتض على غيرها، ثم بين ابن الأثير فواخذ الالتفات فقال: إذا قد رأينا الانتقال من الغيبة إلى الخطاب قد استعمل في الانتقال من الخطاب إلى الغيبة فطمنا حينئذ أن الغرض الوجب لاستعمال هذا النوع لا يجري على وتررة واحدة، وإنما هو مقصور على المناية بالمعنى المقصود، وذلك يشتم شعبا كثيرا لا تتحصر وإنما ينتهي بها على حسب الموضوع الذي يرد فيه (3).
قد رد العلوي (4) كلام ابن الأثير، واتهمه بالمجلس عن فهم كلام الزمخشري، بينما رفض لقيبي كلام ابن الأثير، وتابع الزمخشري والسكاني في رأهما (5).
والإنساف أقول: إن الزمخشري حين تتولى الالتفات لا ينكر ذلك اللحظة ولا يتأبه، فإن كثيرا ما يرونه لبيان الالتفات، والمتصل لماوضعه في الكشاف يرى...

(1) الجمع الكبير ص 18 والمل็ด السائر ج 2 ص 172 (2) اللكشاف ج 4 ص 442.
(2) الجمع الكبير ص 18 والمل็ด السائر ج 2 ص 177 (4) الطراز ج 2 ص 131 ص 127.
(5) الإيضاح ص 157 بيرين.
أنه يشير إليه ولنسمع إليه حين يفسر. أم الكتاب؟ فقوله: في حديثه عن اللفات.

وباعثه العام هو النظرية لأنها من أهم أغراض النص الأدبي (1) وغيره، كما يقول:

وتختص مواقعه بفوائد (2).

وعلل من هذه الفوائد في نقل الأساليب وتغييرها لاختبار السامع وتركيز الخبر، بالإضافة إلى حاجة التعبير إليها. لتمكن الخبر في ذهن المخاطب حسب الموقع، وهذا ما يعني الزمخشري بقوله، وقد تختص مواقعه بلفائف.

ففائدة اللفات هنا لم تكن مجرد إيقاظ نشاط السامع، وإنما كانت تعظيمًا، وتبنيها، واختصارًا، واهتمامًا، أو ترسيخًا، إلى آخر ما جاء به فوائد اللفات وذكرا العلماء جميعاً.

وهو وقد سبق هؤلاء جميعًا إلى هذه النظرية الثاقبة، ابن جني - (3)

(2) ترتيب، حيث يقول: لين كترك أسلاو إلى أسلاو لجرد الاتساع في اللغة، أو التصريح في اللفظ بلى لأمر أعلى، وغرض أرضي.

وبعد فقد وفقات الله على الوقوف على شواهد كثيرة في القرآن الكريم من خلال هذه الدراسة موضوعها. أسلاو اللفات في القرآن الكريم. فما جاء فيها من شواهد نافذة كان على سبيل المثال وليس على سبيل المصرف، والتي أرجو أن يفيد منها كل باحث في هذا التخصص، راجية من الله الموفقية على استكمال الطريق، فله الحمد على ما أعطى وقدر.

(1) الانتشار 42 من 442 وانظر البلاغة القرآنية في بلاغة الزمخشري د / أبو مصطفى وانظر

رياح الإجازات 111 د/ الدين على السيد

(2) الكشاف 4/11

(3) المسبح 1/140.